الفصل الثالث والأربعون

يثرب والطائف

وكان ليثرب مكان مهم عند ظهور الإسلام ، وفيها وفي أطرافهـا سكنت جاليات من يهود . وهي من المواضع التي يرجع تأريخها الى ما قبل الميلاد . وقد ذكرت في الكتابات المعينية ، وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات من معين ، ثم صارت الى السبئيين بعد زوال مملكة معين[1] . ولعلّ هـذا السكن هو الذي حمل النسّابين على ارجاع نسب أهل يثرب الى اليمن ، فقالوا إنهم من الأزد ، وإنهم من (قحطان) .

وللأخباريين كعادتهم آراء في الاسم ، قالوا إنها سميت (يثرب) نسبة الى (يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح) ، وكان أول من نزلها فدعيت باسمه . وقالوا : بل قيل لها (يثرب) من التثريب ، وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل[2] .

وزعم أهل الأخبار ان الرسول لما نزلها كره ان يسميها (يثرب) ، فدعاها (طيبة) و (طابة) . وذكروا لها تسعاً وعشرين اسماً ، منها : (جابرة)

١ Ency., III, P 83, Hartmann, Die Arabische Frage, S., 253, H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, (1901), S., 63.

٢ البلدان (٤٩٨/٨) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢) .

و (مسكينة) و (محبورة) و (يندر الدار) و (دار الهجرة) [1] .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان أقدم من سكن (يثرب) في سالف الزمان قوم يقال لهم (صُعل) و (فالج) ، فغزاهم النبي (داوود) وأخذ منهم أسرى ، وهلك أكثرهم وقبورهم بناحية (الجرف) . وسكنها (العماليق) ، فأرسل عليهم النبي (موسى) جيشاً انتصر عليهم ، وعلى من كان ساكناً منهم بـ (تيماء) ، فقتلوهم ، وكان ذلك في عهد ملكهم الملك (الأرقم بن أبي الأرقم) . ولم يترك الاسرائيليون منهم أحداً ، وسكن اليهود في مواضعهم [2] . ونزل عليهم بعض قبائل العرب ، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والآطام والمنازل . ومن هؤلاء (بنو أنيف) ، وهم حيّ من (بليّ) ، ويقال انهم بقية من العماليق ، و (بنو مُريد) مزيد (مرثد) ، حيّ من (بليّ) ، وبنو معاوية ابن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبنو الجدمى (الجدماء) حيّ من اليمن ، فعاشوا مع من كان بيثرب وأطرافها من اليهود ، واتخذوا المنازل والآطام يتحصنون فيها من عدوهم الى قدوم الأوس والخزرج اياها [3] .

وكان قدوم (الأوس) و (الخزرج) على أثر حادث (سيل العرم) ، فأجمع (عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة) ، الخروج عن بلاده وباع ما له بمأرب ، وتفرق ولده ، فنزلت الأوس والخزرج (يثرب) وارتحلت (غسان) الى الشأم ، وذهبت (الأزد) الى عمان وخزاعة الى تهامة . وأقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام والنخل في أيدي اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم ، فمكثوا معهم أمداً وعقدوا معهم حلفاً وجواراً يأمن به بعضهم بعضاً ويمتنعون به ممن سواهم ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، حتى نقضت اليهود عهد الحلف والجوار ، وتسلطها على يثرب ، فاستعان الأوس والخزرج

١ البلدان (٤٢٥/٧) ، (٤٩٨/٨) ، المقدسي : أحسن التقاسيم (ص ٣٠) ، (الطبعة الثانية) (ليدن ١٩٠٦ م) ، ابن رستة ، الاعلاق (ص ٥٩) ، (للمدينة في التوراة (التوريه) أحد عشر اسما) ، ابن رستة (ص ٧٨) .

٢ ابن رستة ، الأعلاق (٦٠ وما بعدها) ، ياقوت ، البلدان (٤٦١/٤ وما بعدها) ، الأغاني (٩٤/١٩) .

٣ ابن رستة ، الأعلاق (٦٢) .

بأقربائهم على اليهود ، فغلبوهم ، وصارت الغلبة للعرب على المدينة منذ ذلك العهد ، على نحو ما سأتحدث عنه بعد قليل . [1]

وأقدمُ مورد أُشير فيـــه الى (يثرب) ، هو نص الملك (نبونيد) ملك بابل ، الذي سكن (تيماء) امداً ، وذكر فيه انه بلغ هذه المدينة ، كما سلف ان تحدثت عن ذلك في اثناء حديثي عن صلات العرب بالبابليين . وقد عرفت بـ (يثربه) (Jathripa) في جغرافيا (بطلميوس) وعند (اصطيفان البيزنطي) . [2] وعرفت بـ (المدينة) كذلك من كلمة (Medinta) (Medinto) الإرمية ، التي تعني (مدينة) في عربيتنا و (هكر) في العربية الجنوبية . [3] وقد ورد اسمها في الكتابات المعينية . [4]

ويظهر انها عرفت بـ (مدينة يثرب) على نحو ما وجدنا في كتاب (اصطيفان البيزنطي) ، ثم اختصرت ، فقيل لها (مدينتا) ، اي (المدينة) . ولما نزل الرسول بها ، عرفت بـ (مدينة الرسول) في الاسلام . [5]

ولقدم تأريخ (يثرب) ولورود اسمها في نص (نبونيد) ، الذي يدل على انها كانت معروفـــة اذ ذاك ، لا يستبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على كتابات وآثار قد تكشف عن بعض تأريخ هذه المدينة في ايام ما قبل الاسلام .

ولم يشر اهل الاخبار الى وجود حرم او بيت بيثرب ، كان يتعبد فيه اليثربيون ويتقربون اليه بالنذور ، مع انهم اشاروا الى بيت اللات في الطائف . ويثرب مدينة مثل الطائف ومثل مدن اخرى كانت ذات محجّات ومعابد . وقد كان اهل يثرب مثـــل غيرهم من العرب مشركين يتقربون الى الأصنام ، وكانوا يحفظون

---

١ ابن رستة ، الأعلاق (٦٢ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/١٦٠) ، (مطبعة السعادة ، ١٩٣٢ م) .

٢ تأريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣/٣٩٥) ، (٤/١٨١) .
Ptolemy, VI, 7, 31.

٣ Blau, in ZDMG., 22, (1868), S. 668, Ency., III, P. 83. Paulys-Wissowa, 17 ter Halbband, 1914, 791.

٤ Ency., III, P. 83, Winckler, Arabisch — Semitisch, in Mittellungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1901, S., 63.

٥ Ency , III, P. 83.

اصناماً لهم في بيوتهم يتقربون اليها ، كما كانوا يحجون الى محجّات كانت على مسافة من يثرب . ولذلك يبدو غريباً سكوت اهل الاخبار عن ذكر بيت في هذه المدينة ، يحج له الأوس والخزرج ومن والاهم من قبائل وعشائر .

وعثر في مواضع لا تبعد كثيراً عن (يثرب) على كتابات جاهلية ، لم تعرف هويتها الآن ، لأن الباحثين لم يتمكنوا من فحص مواضعها ومن نقلها الى العلماء المختصين لقراءتهـا . كما انهم لم يتمكنوا من تصويرها ولا من التنقيب في تلك الأماكن تنقيباً علمياً . وقد اشار (عثمان ورستم) الى وجود كتابات من هذا النوع على جبل (سلع) ، وعند موضع (بئر عروة) بوادي العقيق وفي أماكن اخرى . [1] ارجو ان يصل اليها الباحثون للتنقيب فيها ولحل رموز هذه الكتابات .

وقد يعثر على كتابات اخرى مطمورة في تربة (يثرب) وفي الأماكن القريبة منها ، تكجف للقادمين من بعدنا اسرار هذه المدينة المقدسة .

ويثرب ، مثل مكة من شعاب ، تسكنها بطون الأوس والخزرج : الأوس في شعاب ، والخزرج في شعاب ، واليهود في شعاب . وفي الشعاب (حوائط) ، بساتين صغيرة ، وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب وللسقي وللغسل ، [2] كما كانت فيها دور مبنية بالآجر ودور مبنية باللبن . وبعضها ذو طابقين . وقد احتفر اليهود آباراً ، كانوا يبيعون الماء منها بالدلاء ، مثل (بئر اروما) ، وكانت ليهودي ، وقد امر الرسول بشرائها ، فاشتراها عثمان . [3] ومن آبار المدينة (بئر ذروان) ، وهي البئر التي ذكر ان لبيد (ابن الأعصم) اليهودي سحر بها الرسول . [4]

ويثرب على شاكلة مكة ، بغير سور ولا حائط يحيط بها ، ولا خندق يقف حائلاً امام من يريد بالمدينة سوءاً . وقد كان عماد دفاع اهلها بالتحصن في بيوتهم وبسدّ منافـذ الطرق في اثناء الخطر . والأغنياء الموسرون يعتمدون على آطامهم

---

١ Osman R. Rostem, Rok Inscriptions in the Hijaz, PP. 4.

٢ الطبري (٣٥٧/٢) (دار المعارف) ، اللسان (٢٧٩/٧) .

٣ المعارف (ص ٨٣) .

٤ نزهة الجليس (٦١/١) ، تفسير النيسابوري (٢١٥/٣٠) ، حاشية على تفسير الطبـري .

وحصونهم وقصورهم ، يلجؤون اليها عند الشدة ومن معهم من اتباعهم يرمون اعداءهم من فوق السطوح بالسهام وبالحجارة ، اذ لا حائط يحيط بها على نحو ما كان لمدينة الطائف . وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام ، وأرخوا بتلك الحرب ، وصاروا يؤرخون بـ (عام الآطام) . وذكر ان اهل المدينة من الأوس والخزرج كانوا يمتنعون بها ، فأخربت في ايام عثمان . [1]

ويظهر من وصف اهل الاخبار ليثرب ، انها كانت تشبه مدينة (الحيرة) بالعراق من حيث خلوّها من سور ومن تكوّنهـا من (قصور) ، هي بيوت السادة ومعاقل المدينة ومواضع دفاعها آناء الشدة وأوقات الحروب . وقد عرفت بـ (أطم) و (آطام) عند اهل يثرب . وذكر ان (الأطم) كان حصن بُنِيَ بحجارة ، او كل بيت مربع مسطح . وورد ان (الأُطوم) : القصور وحصون لأهل المدينة والأبنية المرتفعة كالحصون . [2]

والمدينة عند (وادي اضم) . يقال للقسم الذي هو عند المدينة منه (القناة) والذي هو أعلى منهـا عند السدّ : الشظاة ، اما ما كان اسفل ذلك ، فيسمى أضماً الى البحر . وذكر ان اضم وادٍ يشق الحجاز حتى يُفرغ في البحر . وأعلى اضم القناة التي تمر دُوين المدينة . [3] وان المدينة هي ما بين طرف قناة الى طرف الجرف ، وما بين الماء الذي يقال له (البوا) الى (زبالة) . [4]

وجوّ (يثرب) على العموم خير من جوّ مكة ، فهو ألطف وأفرح . ولم يعانِ اهلها ما عانى اهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه ، حتى بعد حفر (بئر زمزم) . فالماء متوفر بعض الشيء في المدينة ، وهو غير بعيد عن سطح الأرض ، ومن الممكن الحصول عليه بسهولة بحفر آبار في البيوت . ولهذا صار في امكان اهلها زرع النخيل ، وانشاء البساتين والحدائق ، والتفسح فيها ، والخروج الى اطراف المدينة للنزهة ، فأثر ذلك في طباع اهلها فجعلهم ألين عريكة وأشرح صدراً من اهل البيت الحرام .

---

١ الأغاني (١٤/١) (ساسي) التنبيه (ص ١٧٦) .
٢ تاج العروس (١٨٧/٨) ، (اطم) ، اللسان (١٩/١٢) ، (أطم) .
٣ تاج العروس (١٨٧/٨) ، (اضم) .
٤ ابن رسته ، الأعلاق (٦٢) .

وتأريخ المدينة مثل سائر تواريخ هذه الأماكن التي نتحدث عنها ، مجهول لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، وانما ما يذكره الاخباريون عن وجود العماليق وجرهم بها [1] فأمرٌ وان قالوه ، لا يستند الى دليل ، وحكمه حكم الأخبار الاخرى التي يروونها والتي عرفنا نوع اكثرها وطبيعته . ولكن الشيء الذي نعرفه يقيناً ان اهل المدينة كانوا ينتسبون عند ظهور الاسلام الى يمن ، وكانوا يقسمون انفسهم فرقتين : الأوس والخزرج . وبين الفرقتين صلة قربى على كل حال . ثم يذكرون انه كان بينهم يهود ، وهم على زعمهم من قدماء سكان يثرب .

ويلاحظ ان الأوس والخزرج لا يدعون انفسهم بأبناء حارثة ، وانما يدعون انفسهم بـ (بني قيلة) وبـ (ابني قيلة) ويقصدون بها (قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة) ، او (قيلة بنت هالك بن عُذْرَة) من قضاعة ، او (قيلة بنت كامل بن عُذْرَة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف ابن قضاعة) . [2] ولا بد ان يكون لهذه الامرأة التي ينتسبون اليها شهرة في الجاهلية حملتهم على الانتساب اليها . وقد ورد ان (قيلة) اسم ام الأوس والخزرج ، وهي قديمة . [3]

وقد ذكر بعض اهل الاخبار ان الأوس والخزرج ابنا قيلة لم يؤدوا اتاوة قط في الجاهلية الى احد من الملوك ، وكتب اليهم تُبَّع يدعوهم الى طاعته ، فغزاهم تبع ابو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهاراً ويخرجون اليه العشاء ليلاً ، فلما طال مكوثه ورأى كرمهم رحل عنهم . [4]

ويُرجع الاخباريون مجيء الأوس والخزرج الى المدينة الى حادث سيل العرم ، ويقولون انهم لما جاءوا الى يثرب وجدوا اليهود وقد تمكنوا منها ، فنزلوا في ضنك وشدة ، ودخلوا في حكم ملوكٍ يهود الى ايام ملكهم المسمى (الفيطوان)

---

١ البلدان (٤٢٧/٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢ وما بعدها) .

٢ البلدان (٤٢٨/٧) ، الكامل (٢٧٥/١) ، ابن حزم ، جمهرة (٢٣٢/٩) ، ابن خلدون ، المجلد الثاني ، القسم الأول (٥٩٦) ، (منشورات دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ م بيروت) .

٣ اللسان (٥٨٠/١١) ، (صادر) ، (قيل) .

٤ العقد الفريد (١٩٢/١ وما بعدها) ، الأصمعي ، ملوك العرب الأولية (٨٧ وما بعدها) .

أو (الفيطون) أو (الفِطيون) ، وكان رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الأوس والخزرج ، فقتله رجل منهم اسمه (مالك بن العجلان) وفرّ الى الشأم الى ملك من ملوك الغساسنة اسمه (أبو جبيلة) . وفي رواية انه فرّ الى (تبع الأصغر بن حسان) . وتذكر الرواية ان أبا جبيلة سار الى المدينـــة ونزل بذي حرض ، ثم كتب الى اليهود يتودد اليهم ، فلما جاؤوا اليه قتلهم ، فتغلبت من يومئذ الأوس والخزرج ، وصار لهم الأموال والآطام . ثم رجـــع (أبو جبيلة) الى الشأم . وصارت اليهود تلعن (مالك بن عجلان) . وهم يروون في ذلك أبياتاً ينسبونها الى شاعر اسمه (الرمق بن زيد الخزرجي [1] . ويذكـــر الأخباريون ان اليهود صوّرت (مالك بن عجلان) في كنائسهم وبيعهم ليراه الناس فيلعنوه [2] .

وذكر (ابن دريد) ان (الفِطيون) ، اسم (عبراني) ، وكان تَسَلَّك بيثرب ، وكان هذا أول اسم في الجاهلية الأولى . وقد شهد بعض ولد الفطيون بدراً ، واستشهد بعضهم يوم اليمامـــة ، فمن ولد (الفطيون) : أبو المقشعر ، واسمه أُسيد بن عبد الله [3] . ويذكر بعضهم ان اسم (الفطيون) ، هو (عامر ابن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق بن عمرو مزيقياء) [4] . فهو من العرب على رأي هذا البعض ، ومن اليمن ، وليس من أصل عبراني .

وأبو جبيلة عند بعض الأخباريين ، هو (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) ، أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج . فهو على هذه الرواية رجل من الخزرج ذهب الى ديار الشأم ، فملك على غسان . وذهب بعض آخر من الأخباريين الى انه لم يكن ملكاً ، وإنما كان عظيماً ومقربـــاً عند ملك غسان [5] . ونسبه بعض

١ البلدان (٤٢٨/٧ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، الكامل (٢٧٥/١) ، البداية ، ابن كثير (١٦٠/٢) ، (مطبعة السعادة ، ١٩٣٢ م) .

٢ ابن خلدون (٢٨٧/٢) ، الاشتقاق (ص ٢٧٠) ، الأغاني (٩٥/١٩ وما بعدها) ، السمهودي خلاصة الوفاء (٨٢ وما بعدها) ، الطبري (٣٧١/٢) ، تأريخ اليهود في بلاد العرب ، اسرائيل ولفنسون (٥٦ وما بعدها) ،
Graetz, BD., 3, S., 91, 410.

٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٤ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٥ الكامل (٢٧٦/١) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢ وما بعدها) .

أهل الأخبار الى (بني زريق) ، بطن من بطون الخزرج . ونعته بـ (أبي جبيلة الملك الغساني) [1] .

ونحن إذا أخذنا بهذه الرواية ، وجب علينا القول : ان أخذ الأوس والخزرج أمر المدينة بيدهم ، وزحزحة اليهود عنها ، يجب ان يكون قد وقع في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في زمن لا يبعد كثيراً عن الاسلام . لأننا نجد ان أحد أولاده وهو (عثمان بن مالك بن العجلان) في جملة من دخل في الاسلام وشهد بدراً ، كما نجد جملة رجال من (بني العجلان) ، من أبنـاء أخوة (مالك) وقد شهدوا (بدراً) ومشاهد أخرى [2] ، وهذا مما يجعل زمن (مالك) لا يمكن ان يكون بعيداً عن الاسلام .

ويظهر من دراسة هذه الأخبار المروية عن اليهود وملكهم (الفطيون) وعن الأوس والخزرج وما فعلوه باليهود ، ان عنصر الخيال قد لعب دوراً في هـذا المروي في كتب أهل الأخبار عن الموضوع . ونجد في القصص المروي عن ملوك اليمن وعن ولعهم بالنساء وعملهم المنكر بهن ، ما يشبه هذا القصص الذي نسب الى (الفطيون) . ونجد للعلاقات الجنسية مكانة في هـذا القصص الجاهلي الذي ايرويه أهل الأخبار عن ملوك الجاهلية . وما قصة (الفطيون) إلا قصة واحدة من هذا القصص الذي نجد للغرائز الجنسية مكانة بارزة فيه .

ويظهر ان كلمة (الأوس) هي اختصار لجملة (أوس مناة) . و (مناة) كما نعلم صنم من أصنام الجاهلية . و (الأوس) هو جدّ الأوس ، وهو في عرف النسّابين (أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن مرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد) [3] .

١ الاشتقاق (ص ٢٧٢) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٧١ ومواضع اخرى) .
٣ البلدان (٤٢٨/٧) ، (أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امريء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٧٥/١ ح ، ابن خلدون (٢٨٨/٢) ، اللسان (١٨/٤ وما بعدها) ، تاج العروس (١٠٣/٤) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٣٢٢)، العقد الفريد (٣٦/٣ ، ١٥٩) ، (لجنة) ، ابن هشام (٣٤٧/٢) ، دائرة المعارف الاسلامية (١٥٠/٣) .

وينقسم الأوس الى بطون ، منهم : عوف ، والنبيت ، وجشم ، ومُرّة ، وامرؤ القيس . وقد عرف (بنو مرّة) بالجعادرة كذلك . واتفقت جشم ومرة وامرؤ القيس وكونت حلفاً عرف بـ (أوس اللاة) . وبـ (أوس) كذلك . وانقسمت هذه الكتلة الى أربعة أقسام ، هي : ختمة وهي (جشم) في الأصل ، وأمية ، ووائل وهي مرّة ، وواقف وهي امرؤ القيس . وانقسمت هذه البطون الى أفخاذ عديدة ، حدثت بينها منازعات وحروب [1] .

ويرجع أهل الأخبار نسب أهل (قباء) الى (عوف) ، ونسب (النبيت) الى (عمرو) ، ونسب (الجعادرة) الى (مرّة) . وقيل انهم سمّوا بذلك لانهم كانوا يقولون للرجل اذا جاورهم (جعدرٌ حيث شئت ، فأنت آمن . أي اذهب حيث شئت) . ومنهم بنو كلفة وبنو حنش وبنو ضبيعة [2] .

ومن الأوس (أحيحة بن الجلاّح بن الحريش بن جحجبا) ، سيّد الأوس في الجاهلية شاعر . وكانت عنده (سلمى بنت عمرو النجارية) ، وأولاده منها إخوة عبد المطلب . وهو من (بني جحجبا) . ومن ولده (المنذر بن عقبة ابن أحيحة بن الجلاّح) ، شهد بدراً وقتل يوم بئر معونة [3] . وله أشعار ذكرها الرواة ، منها أبيات في رثاء ابن له [4] .

وأما الخزرج ، فانهم إخوة الأوس في عرف النسابين . فالخزرج ، وهو جدّ الخزرج ، هو شقيق أوس . وهو (الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد) . وقد جاء نسله كما جاء نسل الأوس من اليمن بعد حادث سيل العرم ، وسكنوا يثرب والى الشمال منها حتى (خيبر) و (تيماء) . وتأريخهم مثل تأريخ الأوس في رأي الأخباريين بدأ بالاتصال باليهود وبالعيش معهم وبيتهم الى ان تمكنوا منهم بعد الحادث الذي ذكرته وبعد مجيء أبي جبيلة لنصرتهم [5] .

---

١ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٥٩ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (ص ٣٦٢) .
٤ رسالة الغفران (٥٥٤ ، ٥٦٢) .
٥ البلدان (٤٢٨/٧) ، الكامل (٢٧٥/١) ، السويدي ، سبائك الذهب (٦٩) ، المعارف لابن قتيبة (٢٦٠) ، دائرة المعارف الاسلامبه ، (١٥٠/٣) ، السهيلي ، الروض الأنف (١٤/١) ، سيرة ابن هشام (٢٠٤/٢) ، (القاهره ١٩٣٦ م) ، Ency., I, P. 523

ومن سادات الأوس عند ظهور الاسلام ، (سعد بن معاذ) ، الذي قتل يوم (الخندق) ، وأخوه (عمرو بن معاذ) ، وقتل يوم أحد) . و (سماك ابن عتيك) فارسهـــم في الجاهلية ، وابنـــه (حضير الكتائب) ، وكان سيد الأوس ورئيسهم يوم بعاث . وابنه (أسيد بن حضير) ، شهد بدراً[1] . ومنهم (أبو الهيثم بن التيهان) ، وكان نقيباً ، شهد العقبـــة وبدراً . و (قيس بن الخطيم بن عديّ) الشاعر[2] . و (سعد بن خيثمة) ، وكان نقيباً ، وقتـــل يوم بدر ، وأبو قيس بن الأسلت الشاعر . و (شاس بن قيس بن عبادة) ، وكان من أشراف الأوس في الجاهلية[3] .

والخزرج أيضاً بطون ، أشهرها : بنو النجار وينتسبون الى (تيم الله بن ثعلبة) والحارث ، وجشم ، وعوف ، وكعب[4] . ويلاحظ ان جشماً وعوفاً همـــا اسما بطنين أيضاً من بطون الأوس .

ومن الخزرج (أبو أيوب خالد بن زيـــد) ، نزل عليه النبيّ أيام قـــدم المدينة . و (نعمان بن عمرو) ، وكان النبي يستخف نعمان ، لم يلقه قط إلا ضحك اليه . و (أسعد الخير بن زرارة بن عدس) ، شهد العقبة وكان نقيباً ، و (أبو أنس بن صرمة) الشاعر ، وهو جاهلي[5] ، و (ثابت بن قيس بن شاس) ، خطيب رسول الله ، وعمرو بن الاطنابة الشاعر ، جاهلي وهو أحـــد فرسان الخزرج[6] . و (سعد بن عبـــادة بن دليم) وابنه (قيس بن سعد بن عبادة) وكان نقيباً سيداً جواداً ، وابنه قيس أجود أهل دهره في أيام معاوية ، ومنهم (مالك بن العجلان) قاتل (الفطيون) ، وابنـــه (عثمان بن مالك بن العجلان) ، شهـــد (بدراً)[7] ، و (خالد بن قيس بن العجلان) ، شهد بدراً ، و (عمرو بن النعمان بن كلدة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة) .

---

١ الاشتقاق (ص ٢٦٣) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٦٤) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٦٥ وما بعدها) .
٤ الاشتقاق (ص ٢٦٦) .
٥ الاشتقاق (ص ٢٦٧) .
٦ الاشتقاق (٢٦٨) .
٧ الاشتقاق (٢٧٠ وما بعدها) .

رأس الخزرج يوم بُعاث[1] . و (رافع بن مالك بن العجلان) ، وهو أول من أسلم من الأنصار ، و (النعمان بن العجلان)[2] . و (مرداس بن مروان) ، شهد يوم الحديبية ، وبايع تحت الشجرة ، وكان أمين النبي على سُهمان خيبر[3] ، و (خشرم بن الحباب) ، وكان حارس النبي . و (البرّاء بن معرور) ، عقبيّ وكان نقيباً ، وهو أول من أوصى بثلث ماله وأول من استقبل القبلة ، وأول من دفن عليها[4] . و (أبو قتادة بن ربعي) فارس النبي[5] .

ويذكر الأخباريون انه كان للخزرج رئيس منهم ، هو (عمرو بن الأطنّابة) ، وقد ملك الحجاز . وكان ملكه على رأيهم في أيام (النعمان بن المنذر) ، قتله الحارث بن ظالم قاتل خالد بن جعفر بن كلاب[6] . وكانت بينه وبين (عمرو) خصومة . وذكر ان (عمراً) ، قال شعراً يهزأ فيه بالحارث جاء فيه :

أبلغ الحارث بن ظالم المُوعِدَ والنـاذر النـذور عَلَيّـا
إنمـا تقتل النيام ولا تقتـل يقظان ذا سـلاحٍ كميّـا

وكان عمرو شاعراً ومن الفرسان[7] .

وبالرغم من صلة الرحم القريبة التي كانت بين الأوس والخزرج ، فقد وقعت بينها حروب هلك فيها من الطرفين خلق كثير . وأول حرب وقعت بين الأوس والخزرج هي على رواية الأخباريين حرب (سمير) (سميحة) . و (سمير) في روايتهم رجل من الأوس من بني عمرو ، شتم رجلاً اسمه كعب بن العجلان ، وهو من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان ، نزل على مالك بن العجلان رئيس الخزرج وحالفه وأقام معه ، ثم قتله . فثارت الثائرة بين الأوس بسبب هذا القتل وبسبب دفع دية القتيل ، ثم وقعت الحرب . ثم اتفقوا على ان يضعوا حكماً بينهم يفصل في الأمر ، فوقع اختيارهم على (المنذر بن حرام النجاري الخزرجي) . وهو

١ الاشتقاق (ص ٢٧١ وما بعدها)
٢ الاشتقاق (٢٧٢) .
٣ الاشتقاق (٢٧٣) .
٤ الاشتقاق (٢٧٣) .
٥ الاشتقاق (٢٧٥) .
٦ ابن خلدون (٢/٢٨٩) ، الاغاني (١١/١٢١ وما بعدها) .
٧ الاشتقاق (٢٦٨) .

جدّ حسان بن ثابت ، فحكم بينهم بأن يؤدوا لكعب دية الصريح ، ثم يعودوا الى سنّتهم القديمة ، وهي دفع نصف الدية عن الحليف . فرضوا وتفرقوا ، ولكن بعد ان تمكنت العداوة والبغضاء في نفوس الطرفين [1] .

واشتعلت نيران حرب أخرى بين الأوس والخزرج لسبب امرأة من (بني سالم) . وقد كانت الحرب في هذه المرة بين (بني جحجبا) من الأوس و (بني مازن بن النجار) من الخزرج . وقد وقعت في موضع (الرحابة) انهزمت فيه (بنو جحجبا) [2] .

ثم تجددت الحرب بين (عمرو بن عوف) من الأوس وبني الحارث من الخزرج بسبب مقتل رجل من بني عمرو . وقد عرفت هذه الحرب باسم : (يوم السرارة) . وقد كان على الأوس (حضير بن سماك) . وهو والد (أسيد بن حضير) ، وكان على الخزرج (عبد الله بن سلول) (عبد الله بن أُبَيّ) المعروف في الاسلام بـ (رأس المنافقين) . وقد انتهت بانصراف الأوس الى دورها ، فعدت الخزرج ذلك نصراً لها [3] .

ووقعت حرب أخرى لأسباب تافهة كهذه الأسباب . وما كانت لتقع لولا هذه العصبية الضيقة يثيرها في الغالب أفراد لا منازل كبيرة لهم في المجتمع ، ومنهم من الصعاليك والمغمورين بأمور سخيفة ، فإذا وقع على أحدهم اعتداء نادى قومه للأخذ بثأره ، فتثور الحرب . ومن هذه الحروب ، حرب بني وائل ابن زيد الأوسيين ، وبني مازن بن النجار الخزرجيين ، وحرب بني ظفر من الأوس وبني مالك من الخزرج ، وحرب فارع ، وحرب حاطب ، ويوم الربيع ، وحرب الفجار الأولى ، وهي غير حرب الفجار التي وقعت بين قيس وكنانة ، ثم حرب معبس ومضرس ، وحرب الفجار الثانية ، ثم يوم بُعاث . وكان هذا

١ الكامل (١/٢٧٧) ، الأغاني (٣/١٨ وما بعدها) (٢٠/٢٤ وما بعدها) ، المفضليات (ص ١٣٥) ، الاشتقاق (ص ٢٦٦) ، ابن رستة ، الأعلاق (٦٤) ، البلخي ، (البدء والتاريخ (٣/١٣٠) .

٢ الكامل (١/٢٧٧) .

٣ الكامل (١/٢٧٨ وما بعدها) ، (فمن بني الحبلى : عبدالله بن أبي بن مالك ، الذي يقال له ابن سلول . وسلول أمه . وكان رأس المنافقين . وكان أبنه عبدالله من خيار المسلمين) ، الاشتقاق (٢٧١) .

اليوم آخر الأيام المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج [1] .

وكان رئيس الخزرج في يوم بعاث (عمر بن النعمان بن صلاءة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة) . أمـا رئيس الأوس ، فكان (حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل) . وقد ساعد الخزرج في هذا اليوم أشجع من غطفان ، وجهينة من قضاعة . وساعد الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس ، وقريضة والنضير . وقد قتل فيـه (عمرو بن النعمان) رئيس الخزرج . فانهزم الخزرج ، وانتصرت الأوس [2] .

وكان (حضير الكتائب بن سماك) سيد الأوس ورئيسهم يوم بعاث . ركز الرمح في قدمه وقال : ترون أفر ! ؟ فقتل يومئذ . وابنه (أسيد بن حضير) من الصحابة الذين شهدوا العقبة وبدراً [3] .

وقد تخلل أخبار هذه الأيام كالعادة شعر ، ذكر ان شعراء الطرفين المتخاصمين قالوه على الطريقة المألوفـة في الفخر ، وفي انتقاص الخصم ، وفي اثارة النخوة لتصطلم الحرب ويستميت أصحاب الشاعر في القتال . وقد كان المحلّق في هـذه الأيام حسان بن ثابت الشاعر المخضرم الشهير ، شاعـر الرسول . وهـو لسان الخزرج والمدافع عنهم ، و (قيس بن الخطيم) وهو من الأوس ، ثم جماعة ممن اشتركوا في المعارك ، مثل : عامر بن الاطنابة ، والربيع بن أبي الحقيق اليهودي ، وعبد الله بن رواحة وآخرون .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يثرب ان الأوس والخزرج ، لم يكونوا كأهل مكة من حيث الميل الى الهدوء والاستقرار ، بل كانوا أميل من أهل مكة الى حياة البداوة القائمة على الخصومة والتقاتل . وقد بقي الحيّان يتخاصمان حتى جاء الرسول اليهما ، فأمرهما بالكفّ عنه ، ووجّههما وجهة أخرى أنستهما الخصومة العنيفة التي كانت فيما بينهما . ويظهر من رواياتهم ايضاً ان الأوس والخزرج ، وإن

---

١ الكامل (١/ ٢٨٠ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٢/ ٢٨٩ وما بعدها) ، ابن هشام (ص ٣٨٥) ، البرقوقي (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، البلدان ، لياقوت (١/ ٤٥١) ، الميداني ، الأمثال (١/ ٢) ، اللسان (٦/ ١٨) ، (أوس) ، تاج العروس (١/ ٦٠٤) ، البكري ، معجم (١/ ٢٦٠) .

٣ الاشتقاق (٢٦٣) .

كانوا قـد تحضروا واستقروا ، غـير انهم لم يتمكنوا من التخلص من الروح الأعرابية تخلصاً تاماً ، بل بقوا محافظين على أكثر سجاياها ، ومنها النزعة الى التخاصم والتقاتل ، فألهتهم هذه النزعة عن الانصراف الى غرس الارض والاشتغال بالزراعة كما فعل اليهود ، وعن الاشتغال بالتجارة بمقياس كبير على نحو ما فعل أهل مكة .

ونظراً لمساعدة أهل يثرب للرسول ومناصرتهم له وللمهاجرين ، عرف الأوس والخزرج بـ (الأنصار) في الاسلام . وصاروا يفتخرون بهـذه التسمية ، حتى غلبت عليهم ، وصارت في منزلة النسب .

وكان أهل (يثرب) مثل غيرهم تجاراً ، يخرجون الى أسواق الشأم فيتجرون بها . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء رجال منها تاجروا مـع بلاد الشأم . وكان (يهود) يثرب يتاجرون أيضاً ، ويأتون الى أهل (يثرب) بما يحتاجون اليه من تجارات . كما (كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ، ومـا يكون في الشأم)[1] . وكانوا يتسقطون الاخبار وينقلونها الى الروم عند ظهور الاسلام . فقـدم بعض الساقطة المدينة ، وأبو بكر ينفـذ الجيوش ، وسمعوا كلام أبي بكر لعمرو بن العاص ، وهو يقول : عليك بفلسطين وإيليا ، (فساروا بالخبر الى الملك هرقل)[2] ، وتهيـأ لملاقاة المسلمين .

ولم يذكر الرواة جنس هؤلاء (الساقطة) ، الذين كانوا يأتون بالتجارة من بلاد الشأم الى المدينة ، هل كانوا روماً أم عرباً ، أم يهوداً ، أم كانوا خليطاً من كل هؤلاء . على كل كانوا تجاراً يأتون يثرب في الجاهلية لبيع ما يحملونـه من تجارة ، ولشراء ما يجدونه هناك ، وبقوا شأنهم هذا الى الاسلام ، كما نرى من الخبر المتقدم .

هذا هو مجمل ما نعرفه عن تأريخ (يثرب) وهو شيء قليـل ، لا يكفي المتعطش لمعرفة تأريخ هذه المدينة التي تعدّ من المواضع المقدسة في الاسلام . ولا

---

١ الواقدي ، فتوح (ص ١٦) ، (طبعة بيروت ١٩٦ م) .
٢ الواقدي ، فتوح (١٦ وما بعدها) .

بد وان يأتي يوم سنكتشف فيه الأقنعة عن تأريخ المدينة قبل الاسلام . وذلك حين يقوم المنقبون المتخصصون بالبحث في تربتها عن الماضي المستور الدفين .

الطائف :

والطائف على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من مكة . وهي على عكس مكة أرض مرتفعة ذات جوّ طيب في الصيف فيه زرع وضرع ، وغنى جادت الطبيعة به على أهله . وقد كان وما زال مصيفاً طيباً يقصده أهل مكة فراراً من وهج الشمس .

وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان ، وهو أبرد مكان في الحجاز ، وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء ، وليس بالحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع . وبينها وبين مكة واد اسمه نعمان الأراك . وهي كثيرة الشجر والثمر ، وأكثر ثمارها الزبيب والرمان والموز والأعناب ، ولا سيما الصديفي ، وفواكه أخرى عديدة . وهي تموّن مكة بالفواكه والبقول[1] . وتحيط بها الأودية . ومن مواضعها ، (الوهط) ، وهو واد ، أو مكان مطمئن من الارض مستوٍ ، تنبت فيه العضاه والسمر والطلح والعرفط ، وقد اتخذ بستاناً ، صار لـ (عمرو ابن العاص) ، ثم لابنه . وقد عرف بكثرة كرمه وأنواع أعنابه[2] .

والى الشرق من الطائف واد يقال له (ليّة) ، ذكر بعض أهل الأخبار ان أعلاه لثقيف وأسفله لـ (بني نصر بن معاوية) من هوازن[3] .

وتأريخ مدينة الطائف تأريخ غامض ، لا نعرف من أمره شيئاً . إذ لم تمسّ تربتها أيدي علماء الآثار بعد ، كما ان السياح لم يجدوا في الطائف كتابات قديمة بعد . ولكن مكاناً مثل الطائف لا بد ان يكون له تأريخ قديم ، ولا يعقل ان يكون من الأمكنة التي ظهرت ونشأت قبيل الاسلام . وليس لنا من أمل في

١ تقويم البلدان (٩٥) ، صورة الأرض ، لابن حوقل (٣٩) ، البكري ، معجم (٣/٣١ ، ٨٨٦) .
٢ تاج العروس (٥/٢٤٣) ، (وهط) .
٣ صفة (١٢٠) ، ، تاج العروس (١٠/٣٣٤) ، (لوو) .

الحصول على شيء من تأريخ الطائف إلا بقيام العلماء بمناجاة تربتها واستدراجهـا لتبوح لهم بمـا تكنّه من كتابات مسجلة في الالواح يتحدث عن تأريخ هـذا المكان المهـم .

وقد عثر الباحثون فعلاً على كتابات مدوّنة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف الحديثة وفي مواضع غير بعيدة عنها . وقد تبين ان بعضاً منها بالنبطية وبعضاً آخر بالثمودية ، وان بعضاً بأبجدية أخرى ، وان بعضاً بأبجدية القرآن الكريم ، أي بقلم اسلامي . ولا يستبعد عثور العلماء في المستقبل على كتابات ستكشف عن تأريخ هذه البقعة ، وعن تأريخ من سكنها قبل الاسلام وقبل ثقيف . وذُكر ان بعض كتابات يشبه شكلها شكل الأبجدية اليونانية ، وكتابات أخرى يشبه خطها الخط الكوفي عثر عليهـا في (بستان شهار) على مسافـة كيلومترين الى الجنوب من الطائف [1] . غير انها لم تدرس حتى الآن . ومكان مهم بالنسبة للطرق التجاريـة ولموقعه المعتدل الجميل ، لا بد وان يكون قد لفت أنظار سكان العربية الغربية قبل الميلاد فسكنوه ، ولا أستبعد امكانية تدوين تأريخ صحيح لهـذه المدينة اذا ما قام المنقبون بالبحث فيها وفي الأماكن القريبه منها لاستنطاقها ، لتتحدث لهم عما عرفته من أخبار تلك الشعوب التي سكنت هذا الموضع قبل ثقيف .

ويزعم أهل الأخبار ان الطائف انما سميت طائفاً ، بحائطها المطيف بها . اما اسمها القديم ، فهو (وَجّ) . ولهم روايات عن كيفية قيام ذلك الحائط . وقد حاول بعض أهل الأخبار اعطاء الطائف مسحة دينية ، فزعموا بأنها من دعوات ابراهيم ، وانها قطعة من أرض ذات شجر كانت حول الكعبة ، ثم انتقلت من مكانها بدعوة ابراهيم ، فطافت حول البيت ، ثم استقرت في مكانها ، فسميت الطائف ، وزعمت ان جبريل اقتطعها من فلسطين ، وسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ، ثم أنزلها حول الطائف [2] . وهكذا أكسبت هذه الروايات الطائف

---

١ Osman R. Rostem, Rock Inscriptions in the Hijaz, P. 11.

٢ البلدان (٣ /٤٩٩ وما بعدها) ، المقدسي البدء والتاريخ (٢/١٠٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٤٢٠ وما بعدها) ، (والطائف من بلاد ثقيف . قال أبو طالب بن عبد المطلب :

منعنا أرضنا من كـل حـيّ كمـا امتنعت بطائفهـا ثقيـف

وهي في واد بالغور ، أول قراها : لقيم وآخرها الوهط . سُمّيت لانها طافت على=

قدسية ، وجعلت لها مكانة دينية . وهي روايات يظهر انهـا وضعت بتأثير من سادات ثقيف المتعصبين لمدينتهم ، والذين كانوا يرون ان مدينتهم ليست بأقـل شأنـاً من مكة أو يثرب . وقـد كان بها سادات وأشراف كانوا أصحـاب مـال وثراء .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان الذي أقام حائط الطائف رجل من الصدف ، يقال له (الدمون بن عبـد الملك) ، قتل ابن عمٍّ له يقـال له (عمرو) بحضرموت ، ثم فرّ هارباً ، ثم جاء الى (مسعود بن معتب الثَّقَفيّ) ومعـه مال كثير ، وكان تاجراً ، فقال : أريد ان أحالفكم على ان تزوجوني وأزوجكم

= الماء في الطوفان ، أو لأن جبريل عليه السلام طاف بها على البيت سبعا • نقلـه الميورقي عن الأزرقي • أو لأنها كانت قرية بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام اقتلاعا من نخوم الثرى بعيونها وثمارها ومزارعها وذلك لما قال: ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون • نقله أبو داود الأزرقي في تاريخ مكة وأبو حذيفة اسحاق بن بشر القرشي في كتاب المبتدأ، وهو قول الزهري • وقال القسطلاني في المواهب : ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة ، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف ، فسمي الموضع بها • وكانت أولا بنواحي صنعاء • واسم الأرض وج • وهي بلدة كبيرة على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الأعناب والفواكه • وروى الحافظ بن عات في مجالسه أن هذه الجنة كانت بالطائف ، فاقتلعها جبريل وطاف بها البيت سبعا ثم ردها الى مكانها ثم وضعها مكانها اليوم • قال أبو العباس الميورقي : فتكون تلك البقعة من سائر بقع الطائف ، طيف بها بالبيت مرتين في وقتين ، أو لأن رجلا من الصدف ، وهو ابن الدمون بن الصدف • واسم الصدف : مالك بن مرنع بن كندة من حضرموت أصاب دما في قومه بحضرموت ففر الى وج ولحق بثقيف وأقام بها وحالف مسعود بن معتب الثقفي أحد من قيل فيه انه المراد من الآية : على رجل من القريتين عظيم • وكان له مال عظيم • فقال لهم : هل لكم أن أبني لكم طوفا عليكم يطيف ببلدكم يكون لكم ردءا من العرب • فقالوا : نعم فبناه وهو الحائط المطيف المحدق به • وهذا القول نقلـه السهيلي في الروض عن البكري وأعرض عنه • وذكر ابن الكلبي ما يوافق هذا القول • وقد خصت الطائف بنصانيف • وذكروا هذا الخلاف الذي ساقه المصنف وبسطوا فيه ، أورد بعض ذلك الحافظ ابن فهد الهاشمي في تاريخ له خصه بذكر الطائف) ، تاج العروس (١/١٨٤) ، (طوف) •

وأبني لكم طوفاً عليكم مثل الحائط لا يصل اليكم أحد من العرب ، فوافقوا على ذلك ، وبنى لهم طوفاً عليهم ، فسميت الطائف ، فزوّجوه[1] .

وقد كان لأهل الطائف معبد يحجّون اليه ، هو معبد (اللات) . وكانوا يعظّمونه ويتبركون به . ويذكر أهل الأخبار ان اللات كان صخرة مربعة يلتّ يهودي عندها السَّويق . وكان سَدَنته (بنو عتاب بن مالك) وهم من ثقيف . وقد بنوا له بناءً ضخماً . وكانت العرب ، ومنها قريش ، تعظمه ، وتحجّ اليه وتطوف به . وقد هُدم في الإسلام ، عند فتح الطائف ودخول أهلها فيه . وقد هَدم الصنم : المغيرةُ بن شعبة ، وأحرقه بالنار . ويقع موضعه تحت منارة المسجد ، الذي بني على أنقاض ذلك المعبد ، وهو مسجد المدينة . فمسجد الطائف إذنْ هو معبد اللات القديم ، وهو في الطائف نفسها[2] .

ويُرجع أهل الأخبار زمان الطائف الى العمالقة ، ويقولون : انها انما سميت (وَجّاً) بوجّ بن عبد الحيّ ، من العماليق ، وهو أخو (أجأ) الذي سُمي به جبل (طيّ) . ثم غلب عليها (بنو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مُضَر) ، ثم غلبهم (بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هَوازن) ، وذلك بعد قتال شديد . ثم استغلّت ثقيف الظروف ، فاستولت عليها ، وأخذتها من (بني عامر) ، فارتحل (بنو عامر) عنها ، ونزلوا الى تهامة ، وتحكم بها بنو ثقيف[3] .

١ البلدان (٦/١٠ فما بعدها) ،

٢ ابن الكلبي ، الأصنام (١٦ وما بعدها) ، القزويني ، آثار البلاد ، (٦٤ وما بعد

٣ الكامل ، لابن الأثير (١/٤٢٠ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، المعارف (٩١) ، (اسم واد بالطائف بالبادية (؟) سمي بوج بن عبد الحي من العمالقة وقيل من خز قال عمرو بن حزام :

أحقا يا حمامة بطن وج ... بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن كيلي ... أواصله وأنك تهجعينا
وإني ان بكيت بكيت حقا ... ولكنّي أسرّ وتعلنينا
فنوحي يا حمامة بطن وج ... فقد هيجت مشتاقا حزينا

قرأت هذه الأبيات في الحماسة لأبي نمام . والذي ذكرت هنا رواية المعجم ، وبينه تفاوت قليل) ، تاج العروس (٢/١١٠) ، (الوج) ، (ووج موضع بالبادية وقيل : هي الطائف) ، (وفي الحديث صيد وج وعضاهه حرام محرم ؛ قال : هو=

ويذكر بعض أهل الأخبار ان أول من ملك الطائف (عدوان بن عمرو بن قيس ابن عَيْلان بن مضر) . فلما كثُر (بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن) ، غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد[1] . وقد كانت مواطن (بني عامر) بنجد . وكانوا يصيفون بالطائف ، حتى غلبتهم ثقيف . فخرجوا الى تهامة . وكان منهم (عامر بن الظرب العدواني) أحد الحكماء العرب[2] .

وقد ورد في بعض الأخبار ان قوم ثمود هم الذين نزلوا بالطائف بعد العماليق ، فأخذوها منهم ، وذلك قبل ارتحالهم عنها الى وادي القُرى ، بسبب منازعة القبائل لهم ، ومن ثم ربط رواة هذه الأخبار نسب ثقيف بثمود . وقد صيّر بعض أهل الأخبار ثقيفاً مولى من موالي هوازن ، ونسبهم آخرون الى إياد[3] .

وجاء في رواية أخرى ان أقدم سكان الطائف هم بنو مهلائيل بن قينان ، وهم الذين عمروها وغرسوها وأحيوا مواتها . وقد سكنرها قبل الطوفان . فلما وقع الطوفان ، كانوا في جملة من هلك فيه من الأمم الباغية . فخلت الطائف منهم ، وسكنها بعدهم بنو هانيء بن هذلول بن هوذلة بن ثمود ، فأعادوا بناءها وعمروها حتى جاءهم قوم من الأزد على عهد (عمرو بن عامر) ، فأخرجوهم عنها ، وأقاموا بها وأخذوا أماكنهم ، ثم توالى عليها العرب حتى صارت في أيدي ثقيف[4] .

وصيّر بعض أهل الأخبار ثقيفاً رجلاً منتشراً ، اتفق مع ابن خاله النَّخَع على الهجرة في طلب الرزق والعيش ، فذهب النَّخَع الى اليمن ، فنزل بها ، وذهب (ثقيف) الى وادي القُرى ، فنزل على عجوز يهودية لا ولد لها ، واتخذها ثقيف أماً له . فلما حضرها الموت ، أوصت له بما كان عندها من دنانير وقضبان ، ثم دفنها وذهب نحو الطائف . فلما كان على مقربة منها ، وجد أمةً

= موضع بناحية الطائف ويحتمل أن يكون حرمه في وقت معلوم ثم نسخ . وفي حديث كعب : أن وجا مقدس ، منه عرج الرب الى السماء) ، اللسان (٣٩٧/٢) ، (وجج) .

١ الكامل ، لابن الأثير (٤٢٠/١ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٦٣/٥) .

٣ ابن خلدون (٦٤١/٢ وما بعدها) .

٤ الهمداني ، صفه (٣١٢/١ وما بعدها) ، البلدان (٤٩٨/٣ وما بعدها) ، اللسان (٢٢٥/٩) ، صورة الأرض (٣٩) .

حبشية ترعى غنماً ، فأراد قتلها ليستولي على ماشيتها ، فارتابت منه ، وأخبرته بأن يصعد الى الجبل . فيستجير بـ (عامر بن الظَّرِب العَدْواني) فإنه سيجيره ويغنيه ، ويربح أكثر من ربحه من استيلائه على هذه الغنم . فذهب اليه ، وأجاره ، وأغناه ، وأنزله عنده ، وزوّجه ابنة له ، وبقي مقيماً في الطائف ، وتكاثر ولده ، حتى زاحموا بني عامر ، وتلاحيَا ثم اقتتلا ، فتغلبت ثقيف على بني عامر ، واستولت على الطائف[1] .

ويذكر هؤلاء الرواة ان ثقيفاً اتفقوا مع (بني عامر) على ان يأخذوا الطائف لهم ويرحل بنو عامر عنها ، فيدفعوا لهم نصف ما يحصلون عليه من غلات . وقد بقوا على ذلك أمداً ، حتى ثبّتت ثقيف نفسها في الطائف وقوّت دفاعها وأحكمت مواضعها ، ثم امتنعت عن دفع أي شيء كان لبني عامر ، فوقع قتال بين الطرفين انتهى بانتصار ثقيف . وصارت بذلك سيدة الطائف بلا نزاع .

وقد حسدهم طوائف من العرب ، وقصدوهم لما صار لهم من مركز ومن رزق رغد وأثمارٍ وجنان ، ولكنهم لم يتمكنوا من الظفر بطائل ، وتركوهم على حالهم[2] .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (عبد ضخم) كانوا فيمن سكن الطائف . وقد كانوا من عادٍ الأولى ، وهلكوا فيمن هلك من عاد ومن أقوام بائدة .

وذكر انه كان بالطائف قوم من يهود ، طُردوا من اليمن ومن يثرب ، فجاؤوا الى الطائف ، وسكنوا فيها ، ودفعوا الجزية لساداتها ، ومن بعضهم ابتاع (معاوية) أمواله بالطائف[3] .

وقد كان لوقوع الطائف على مرتفع ، ولحائطها المزود بأبراج واستحكامات

---

١ البلدان (٣/٤٩٨ وما بعدها) ، (وثقيف كأمير ، أو قبيلة من هوزان ، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وقد يكون ثقيف اسما للقبيلة والأول أكثر . قال سيبويه : وأما قولهم هذه ثقيف فعلى ارادة الجماعة . وانما قال ذلك لغلبة التذكير عليه . وهو مما لا يقال فيه من بني فلان) ، تاج العروس (٦/٥١ ، (ثقف) .

٢ البلدان (٣/٤٩٨ وما بعدها) .

٣ البلاذري ، فتوح (٦٨) .

الفضل بالطبع في صدّ الاعراب ومنعهم من نهبها وغزوها . والظاهر ان اهل الطائف كانوا قد اقتفوا اثر اليمن في الدفاع عن مدنهم وقراهم ، حيث كانوا يبنونها على المرتفعات في الغالب ، ثم يحيطون ما يبنونه بأسوار ذات ابراج لمنع العدوّ من الدنوّ منها ، ولا سيما الاعراب الذين لم يكونوا بحكم طبيعة معيشتهم في ارض منبسطة مكشوفة ، ولفقرهم وعدم وجود اسلحة حسنة لديهم يستطيعون مهاجمة مثل هـذه التحصينات ، وأخذها على غِرّة حيث تقفل ابواب الأسوار وتغلق ليلاً ، وفي اوقات الخطر ــ فلا يكون في استطاعة احد ولوجها ، لذلك صارت هذه التحصينات من اثقل الاعداء على قلوب الاعراب .

ولما هَمّ (أبرهة) بالسير الى مكة ، كانت الطائف في جملة المواضع التي نزل بها في طريقـه اليها . وقد خرج اليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فأتوه بالطاعة ، وبعثوا معه (أبا رغال) دليلاً ، فانزله المغمّس بين الطائف ومكة ، فهلك (ابو رغال) هناك وقبره في ذلك الموضع .

وعند ظهور الاسلام كان أغلب سكان هذا الموضع ينتسبون الى قبيلة ثقيف . وترجع هذه القبيلة نسبها مثل القبائل الاخرى الى جدّ أعلى ، يقولون ان اسمـه (قسيّ بن منبه) ، ويقول الأخباريون انما دعي قسيّاً لأنه قتل رجلاً ، فقيل قسا عليه ، وكان غليظاً قاسياً . [1]

والنسابون يختلفون في نسبه ، فمنهم من ينسبه الى إياد ، فيجعله قسيّ بن نبت ابن منبه بن منصور بن مقدم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن معدّ ، ومنهم من يجعله من هوازن ، فيقول : قسيّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . [2]

ونحن اذا درسنا ما رواه اهل الاخبار عن نسب ثقيف ، وعن القبائل التي اتصلت بها ، نجد انها كانت ذات صلة وثيقة بقبائل (قيس عيلان) من مجموعة مضَر . ومعنى هذا انها كانت على مقربة منها ، وانها كانت من قبائل مضر . كما نجد في الوقت نفسه انها كانت على صلات وثيقة مع بعض قبائل اليمن . وقد

---

١ الاشتقاق (١٨٣) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (١/٢٨٨) ، الأغاني (٤/٧٤) ، البلاذري ، أنساب الاشراف (٢٥ وما بعدها) ، Ency., IV, P. 734.

فسرت هذه الصلات بوجود نسب لثقيف باليمن . وهذا النسب المزدوج ، هو كناية عن الصلات التي كانت تربط بين (ثقيف) ومجموعة (مضر) ، وبينها وبين قبائل اليمن . وهو تعبير عن موضع الطائف المهم الوسط ، الذي يربط بين اليمن والحجاز والطرق المارة الى نجد . مما جعله وسطاً وموضعاً للاحتكاك بين قبائل هذه الأرضين .

وصيروا ثقيفاً في رواية اخرى ابناً لأبي رغـال ، ثم رفعوا نسب الابن والأب الى قوم ثمود ، وجعله حمّاد الرواية ملكاً ظالماً على الطائف ، لا يرحم احداً ، مرّ في سنة مجدبة بامرأة ترضع صبيّاً يتيماً بلبن عنزٍ لها ، فأخذهـا منها فبقي الصبي بلا مرضعةٍ ، فمات ، فرماه الله بقارعة فأهلكه ، فرجمت العرب قبره ، وصار رجم قبره سُنة للناس . [1] فهل تجد رجلاً ألأم من هذا الرجل على هذا الوصف ؟ .

وقد قيل في (ابي رغال) انه كان رجلاً عشّاراً في الزمن الأول ، جائراً ، وقيل كان عبـداً لشعيب ، وقيل : اسمه (زيد بن مخلف) عبدٌ كان لصالحٍ النبيّ ، وأنه ارسله الى قوم ليس لهم لبن الا شاة واحدة ، ولهم صبي قد ماتت أمه يغذونه بلبن تلك الشاة ، فأبى ان يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها تحايي بها هذا الصبي ، فأبى ، (فيقال : انه نزلت به قارعة من السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة . فلما فقده صالح ، قام في الموسم ينشد الناس ، فأخبر بصنيعه ، فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس) . [2]

١ الأغانـي (٤/٧٤) .

٢ (عن أنس . قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر ، فقال : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف . وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه . الحديث . وأورده القسطلاني هكذا في المواهب في وفادة ثقيف . وبسطه الشرّاح . وقول الجوهري والصاغاني كذلك انه كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة حرسها الله تعالى ، فمات في الطريق بالمغمس . قال جرير :

اذا مات الفـرزدق فارجمـوه كما ترمون قبـر ابي رغـال

غير جيد . وكذا قول ابن سيده كان عبدا لشعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وكان عشّارا جائرا فقبره بين مكة والطائف يرجم اليوم . وقال ابن المكرم : ورايت في هامش الصحاح ما صورته: أبورغال اسمه زيد بن مخلف عبد كان لصالح، النبي ـ

وفي رأيي ان معظم هذه الروايات التي يرويها الاخباريون عن ثقيف انما وضعت في الاسلام ، بغضاً للحجاج الذي عرف بقسوته وبشدته ، فصيروا ثقيفاً عبداً لأبي رغال ، وجعلوا اصله من قوم نجوا من ثمود . وأبو رغال نفسه جاسوس خائن في نظر الاخباريين ، حاول إرشاد أبرهة الى مكة ، فكيف يكون اذن حال رجل من قوم فَسَقَة كَفَرَة ، ثم صار عبداً لجاسوس لئيم ! وقد رأيت ان من اهل الاخبار من صيّر (ثقيفاً) رجلاً مهاجراً ، هاجر في البلاد يلتمس العيش حتى جاء وادي القُرَى ، فتبنّته عجوز يهودية ، وعطفت عليه ، حتى اذا ما ماتت اخذ مالها ، وهاجر الى الطائف ، وكان لئيماً فطمع في غنم لأَمَةٍ حبشية ، وكاد يقتلها لولا اشارتها عليه باللجوء الى (عامر بن الظَّرِب) ، الجواد الكريم وصاحب الطائف ، فأعطاه وحباه ، ولكن أبى لؤم ثقيف الا ان ينتقل الى ولده ، فتنكروا لبني عامر وأخرجوهم عن الطائف ، واستبدوا وحدهم بها .

وبنو ثقيف حزبان : الأحلاف ومنهم : (غيلان بن سلمة) و (كنانة بن عبد ياليل) و (الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب) ، و (ربيعة بن عبد ياليل) و (شرحبيل بن غيلان بن سلمة) و (عثمان بن أبي العاص) و (أوس بن عوف) و (نُمير بن خرشة بن ربيعة) ، وقد ذهب هؤلاء الى الرسول وأسلموا ، فاستعمل عليهم (عثمان بن ابي العاص) . وأما القسم الثاني ، فعرف بـ (بني مالك) ، وقد ذهب نفر منهم مع هذا الوفد الى الرسول ، فضرب لهم قبة في المسجد . واما الاحلاف ، فنزلوا ضيوفاً على (المغيرة بن شعبة) وهو من ثقيف . [1]

= عليه السلام بعثه مصدقا ، انه أتى قوما ليس لهم لبن الا شاة واحدة ولهم صبي قد ماتت أمه ، فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة ، يعني يغذونه ، فأبى أن يأخذ غيرها . فقالوا : دعها نحابي هذا الصبي ، فأبى . ويقال انه نزلت به قارعة من السماء . ويقال : بل قتله رب الشاة ، فلما فقده صالح عليه السلام ، قام في الموسم ينشد الناس ، فأخبر بصنيعه ، فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس) ، تاج العروس (٣٤٨/٧) ، (رغل) ، (والمغمس كمعظم ومحدث ، الأول هو المشهور عن أهل مكة والثاني نقله الصاغاني ، وقال لغة فيه بطريق الطائف بالقرب من مكة . فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة الحبشي الى مكة ويرجم الى الآن . قال أمية بن أبي الصلت :

حبس الفيل بالمغمس حتى ... طل فيه كأنه مقبور) ، تاج العروس (٢٠٣/٤) ، (غمس) .

١ ابن سعد ، طبقات (١ /٣١٢ وما بعدها) .

ومن الاخلاف في الاسلام : المختار بن أبي عبيد ، والحجاج بن يوسف .

ومن زعماء الاحلاف عند ظهور الاسلام : اميّة بن ابي الصلت ، والحارث ابن كلدة ، ومعتب ، وعتاب ، وأبو عتبة ، وعتبان . [1]

ويذكر اهل الاخبار ان حرباً وقعت بين (مالك) والاحلاف ، فخرجت الاحلاف تطلب الحلف من اهل يثرب على (بني مالك) ، وعلى رأسها (مسعود ابن معتب) رأس الاحـلاف . فقدم على (احيحة بن الجلاّح) ، احد بني عمرو بن عوف من (الأوس) . فطلب منه الحلف . فأشار عليه (احيحة) ، ان عليه ان يعود الى الطائف ويصالح اخوانه ، فان احداً لن يبر له اذا حالفهم . فانصرف (مسعود) عن (عتبة) بعد ان زوّده بسلاح وزاد وأعطاه غلاماً يبني الاسوار . فلما وصل ، أمر الغلام ببناء سور حول الطائف . فبناه له ، وأحيطت الطائف بسور قوي حصين ، وأمنت بذلك على نفسها من غارات الاعراب . [2]

ويختلف اهل الطائف عن اهل مكة ، وعن الاعراب من حيثُ ميلُهم الى الزراعة واشتغالهم بها وعنايتهم بغرس الاشجار . وقد عرفت الطائف بكثرة زبيبها وأعنابها واشتهرت بأثمارها . وقد كان اهلها يُعنون بزراعة الأشجار المثمرة ، ويسعون الى تحسين انواعها وجلب انواع جديدة لها ، فقد استوردوا اشجاراً من بلاد الشام ومن أماكن أخرى وغرسوها ، حتى صارت الطائف تموّن مكة وغيرهـا بالأثمار والخضر .

وثقيف حضر مستقرون متقدمون بالقياس الى بقية اهل الحجاز . فاقوا غيرهم في الزراعة اذ عنوا بها كما ذكرت ، واستفادوا من الماء فائدة كبيرة ، وأحاطوا المدينة ببساتين مثمرة ، كما فاقوا في البناء فبيوتهم جيدة منظمة ، وكان لهم حذق ومهارة في الأمور العسكرية . وقد تجلى ذلك في دفاعهم عن مدينتهم يوم حاصرها الرسول وتحصنهم بسورهم ، ورميهم المسلمين بالسهام وبالنار من فوق سورهم ، يوم لم يكن لمكة ولا للمدينة سور ولا خنادق .

كذلك اختلف اهل الطائف عن غيرهم من أهل الحجاز في ميلهم الى الحرف

١ المعارف (٩١) .
٢ ابن الأثير ، الكامل (١/٤٢٠ وما بعدها) .

اليدوية مثل الدباغة والنجارة والحدادة ، وهي حرف مستهجنة في نظر العربي ، يأنف من الاشتغال بها . ولكن أهل الطائف احترفوها ، وربحوا منها ، وشغّلوا رقيقهم بها . وقد استفادوا من خبرة الرقيق ، فتعلموا منهم ما لم يكن معروفاً عندهم من اساليب الزراعـــة وأعمال الحرف ، فجددوا وأضافوا الى خبرتهم خبرة جديدة .

وقد عاش أهل الطائف في مستوى هو أرفع من مستوى عامة أهل الحجاز ، فقد رزقوا فواكه أكلوا منها ، وجففوا بعضا منها مثل (الزبيب) ، وأكلوا وصدروا منه ما زاد عن حاجتهم ، كما اقتاتوا بالحبوب واللحوم . حتى حظ فقراء الطـــائف ، هو أرفع وأحسن درجة من حظ فقراء المواضع الأخرى من الحجاز .

وقد ذهب المفسرون الى أن كلمة القريتين الواردة في القرآن الكريم ، تعني مكة والطائف . (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .[1]

وكان رؤساؤها من المثرين الكبار ، لهم حصون يدافعون بها عن انفسهم وعن أموالهم ، ولهم علم بالحرب . ولحماية مدينتهم أقاموا حصوناً على مسافات منها ، وحوّطوا مدينتهم بسور حصين عال ، يردّ من يحاول دخولها ، وجمعوا عندهم كل وسائل المقاومة الممكنة التي كانت معروفة في ذلك العهد ، مثل أوتاد الحديد التي تحمى بالنـــار لتلقى على الجنود المختفين بالدبابات ، وغير ذلك من وسائل المقاومة والدفاع ، كما كانوا قد تعلّموا من أهل اليمن مثل مدينة « جرش » صناعة العرادات والمنجنيق والدبابات .[2]

وكان أغنياء (الطائف) ، كأغنياء مكة وأغنياء المواضع الاخرى من جزيرة العرب أصحاب ربا ، ولمـــا اسلموا اشترط عليهم الرسول أن لا يرابوا ، ولا يشربوا الخمر . وكتب لهم كتاباً .[3] وكانت لهم تجارة مع اليمن ، ولكننا لا نسمع

١ الزخرف ، الآية ٣١ ، الطبرسي ، مجمع (٤٦/٥) ، تفسير الطبري (٣٩/٢٥) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٣١٢/١) (بيروت ١٩٥٧ م) ، السيرة الحلبية (١٣١/٣ وما بعدها) .
٣ البلاذري ، فتوح (٦٧) .

شيئاً عن قوافل كبيرة كقوافل أهل مكة ، كانت تتاجر مع بلاد الشام أو العراق . ولعلهم كانوا يساهمون مع تجار مكة في اتجارهم مع تلك الديار .

وقد اشتهرت الطائف بدباغة الجلود ، وذكر أن مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي ، فتنبعث منها روائح كريهة مؤذية . [1] واشتهرت بفواكهها وبعسلها . [2]

وقد استغل أثرياء قريش أموالهم في الطائف ، فاشتروا فيها الأرضين وغرسوها واستثمروها ، واشتروا بعض المياه ، وبنوا لهم منازل في الطائف ليتخذوها مساكن لهم في الصيف ، وأسهموا مع رؤساء ثقيف في أعمـــال تجارية رابحة ، وربطوا حبالهم بحبالهم ، وحاولوا جهد امكانهم ربط الطائف بمكة في كل شيء . [3]

ولما فتحت مكة ، وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها ، حتى اذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيين ، وصارت أرض الطائف مخلافاً من مخاليف مكة . [4]

وقد كان بين أهل مكة وأهل الطائف تنافس وتحاسد ، وقد حاول أهل الطائف جلب القوافل اليهم ، وجعل مدينتهم مركزاً للتجار يستريحون فيه ، وقد نجحوا في مشروعهم هذا بعض النجاح يوم استولى الفرس على اليمن ، وتمكنوا فيه من طرد الحبش عن العربية الجنوبية ، فصارت قوافل (كسرى) التجارية و (لَطائم) ملوك الحـــيرة تذهب الى اليمن وتعود منها من طريق الطائف ، ونغصت بذلك عيش أهل مكة ، غير أن أهل مكة تمكنوا من التغلغل الى الطائف ومن بسط سلطانهم عليها ، باقراض سادتها الأموال ، وبشراء الأرضين. فبسطوا بذلك سلطانهم عليها ، وأقاموا بها أعمالاً اقتصادية خاصة ومشتركة ، وهكذا استغل أذكياء مكة هذا الموضع المهم ، وحوّلوه الى مكان صار في حكم التابع لسادات قريش .

ومن سادات الطائف : (عبد ياليل) وإخوتـــه (حبيبا) و (مسعودا) و (ربيعة) و (كنانة) وهم (بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقـــدة بن

١ البلدان (٦/١٠ وما بعدها) .
٢ البلاذري ، فتوح (٦٨ وما بعدها) .
٣ البلاذري ، فتوح (٦٨) .
٤ البلاذري ، فتوح (٦٨) .

غيرة الثقفي) ، وكانوا أثرياء أجواداً يطعمون بالرياح [1] . وأمهم (قلابة بنت الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج) الثقفي [2] . وبيت (بني عـلاج) من البيوت القديمة المعروفة بالطائف [3] .

وقد لقي الرسول مقاومة عنيفة من أهل الطائف حين حاصرها وأحاط بها ، فقد تحصن أهلها بحائطهم وبحصونهم ، وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم ، وصنعوا الصنائع للقتال . اما من كان حول الطائف من الناس ، فقد أسلموا كلهم . ولما ضيق المسلمون الحصار عليهـا ، وقربوا من الحائط ، دخـل نفر من أصحاب رسول الله تحت دبّابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً ، فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، كي يحملهـم على فتح أبواب مدينتهم ومهادنة الرسول ، للإبقاء على أموالهم ، غير انهم لم يبالوا بما رأوا من قطع أعنابهم وتخريب بساتينهم ، وبقوا على عنادهم ، مما حمل الرسول على ترك حصارهم والرحيل عنهم انتظاراً لفرصة أخرى [4] .

ويذكر أهل الأخبار ، ان (سلمان الفارسي) ، اتخذ منجنيقاً نصبه المسلمون على الطائف ، وان المسلمين كانت لهم دبّابة ، جاء بهـا (خالد بن سعيد بن العاص) من (جرش) [5] .

ويذكر الطبري ان عروة بن مسعود ، وهو من وجوه الطائف ، كان قـد تعلم مع غيلان بن سلمة صنعة الدبابات والضّبور والمجانيق من أهل جرش [6] . وقد اشتهرت هذه المدينة بصنع آلات الحرب .

ولما انصرف الرسول عن الطائف ، اتبع أثره (عروة بن مسعود بن معتب) حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة ، فأسلم . فلما رجع الى الطائف على أمـل

---

١ المحبر (٤٦٠) .
٢ المحبر (٤٦٠) .
٣ الإشتقاق (١٨٥) .
٤ الطبري (٣/٨٢ وما بعدها) (غزوة الطائف) .
٥ البلاذري ، أنساب (١/٣٦٦) .
٦ الطبري (٣/٨٢) .

اقناع أهلها بالدخول في الإسلام ، لمكانته فيهم ، رموه بالنبل من كل وجـه ، فأصابه سهم فقتله . ثم أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهراً ، ثم انهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، فأرسلوا وفداً الى المدينـة لمفاوضة الرسول على الدخول في الإسلام . فلما دخلوا عليـه أبوا ان يحيّوه إلا بتحية الجاهلية ، ثم سألوه ان يدع لهم (الطاغية) ، وهي اللات لا يهدمها الى أجل ، لأنهم أرادوا بذلك (فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون ان يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلا ان يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلاة ، وان يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه . وأما الصلاة ، فلا خير في دين لا صلاة فيه . فقالوا : يا محمد ، أمـا هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة)[1] .

فلما وصل الوفـد ومعه أبو سفيان والمغيرة بن شعبة ، الى الطائف ، وأرادا هدم الصنم ، (أراد المغيرة ان يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم[2] ، فلما دخل المغيرة بن شعبة ، علاها يضربها بالمعول ، وقام قوم دونه — بنو مُعتب — خشية ان يرمى أو يصاب ... وخرجن نساء ثقيف حسّراً يبكين) (ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك . فلما هدمها المغيرة ، أخذ مالها وحُليّها ، وأرسل الى أبي سفيان وحليّهـا مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان ان يقضي من مال اللات دين عروة والأسود ابني مسعود ، فقضى منه دينها)[3] .

وذكر عن (عروة بن مسعود الثقفي) انه كان من الرجـال الذين كانوا عندهم عشر نسوة عند مجيء الاسلام[4] ، وانه نادى على سطحه بالطائف بالأذان

١ الطبري (٣/٩٩ وما بعدها) .
٢ (الهدم) .
٣ الطبري (٣/٩٩ وما بعدها) .
٤ المحبر (ص ٣٥٧) .

أو التوحيد ، فرماه رجل من أهل الطائف فقتله ، وان الرسول قال فيه : (مثله مثل صاحب ياسين) [1] . (ويقال إنه الذي ذكره الله عز وجل في التنزيل من القريتين عظيم . وذكر بعض أهل العلم ان أربعة اتصل سؤددهم في الجاهلية والإسلام : عروة بن مسعود ، والجارود واسمه : بشر بن المعلى ، وجرير بن عبد الله ، وسراقة بن جعشم المُدْلِجي) [2] .

وثقيف أقرب في الواقع الى اليمن منهم الى أهل الحجاز . وتكاد تكون ثقافتهم ثقافة يمانية ، وحياتهم الاجتماعية حياة اجتماعية من النوع المألوف في اليمن . حتى في الوثنية نجد لهم معبداً خاصاً بهم ، يتقربون اليه ويحجون له . ولعلّ هذه الاختلافات وغيرها هي من جملة العوامل التي صيّرت ثقيفاً مجتمعاً خاصاً معارضاً لمجتمع مكة ، وجعلت أهل الطائف يكرهون أهل مكة الذين امتلكوا أملاكاً في الطائف ، وكانوا يأتون اليها في الصيف هرباً من جوّ مكة المحرق .

ومن بطون ثقيف ، (بنو الحطيط) و (بنو غاضرة) . ومن (بني الحطيط (مالك بن حطيط) ، وكان من ساداتهم في الجاهلية ، ومن ثقيف الشاعر أمية بن أبي الصلت . (وكان بعض العلماء يقول لولا النبي صلى الله عليه وسلم ، لادعت ثقيف ان أمية نبيّ ، لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم ودارس اليهود وكل الكتب قرأ . ولم يسلم ورثى قتلى بدر [3] . ومن رجالهم (أبو محجن) ، كان شاعراً فارساً شجاعاً شهد يوم القادسية ، وكان له فيها بلاء عظيم ، وقد شهد يومئذ (عمرو بن معد يكرب) وغيره من فرسان العرب ، فلم يبل أحد بلاءه . و (الأخنس بن شريق) ، وتزعم ثقيف انه أحد الرجلين اللذين ورد ذكرهما في القرآن ، على رجل من القريتين عظيم : (الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة . وقد كان حليفاً لبني زهرة . وقد خنس ببني زهرة يوم بدر [4] .

ومن ثقيف (بنو علاج) ، ومنهم (الحارث بن كلدة) . (كان طبيب

١ المحبر (ص ١٠٦) .
٢ الاشتقاق (١٨٦) .
٣ الاشتقاق (١٨٤) .
٤ الاشتقاق (١٨٥) .

العرب في زمانه وأسلم ومات في خلافة عمر)[1] . والمغيرة بن شعبة[2] .

ومن بني ثقيف عثمان والحكم ابنا أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي ، كانا شريفين عظيمي القدر ، ولى (عمر) عثمان عمان والبحرين وأقطعه الموضع المعروف بالبصرة بـ (شط عثمان) . ومنهم (تميم بن خرشة بن ربيعة) ، أحد وفد ثقيف الى رسول الله ، ومن فرسانهم في الجاهلية : (أوس بن حذيفة) وأدرك الإسلام ، و (ضبيس بن أبي عمرو) ، و (همام بن الأعقل) وآخرون[3] .

---

١ الاشتقاق (ص ١٨٥ وما بعدها) .
٢ الاشتقاق (١٨٦) .
٣ الاشتقاق (١٨٤) .

obeikandl.com